

أمين الباشا رسم بيروت 60 عاماً ورحل

يسمونه «رسام الفرح» وهكذا هي لوحاته. كأنه بقي طفلاً لا يريد أن يغادر أماكنه، ويحلو له ألا يفرط بزهو الحياة. بالمئات التي عشقها ومال إليها، بدأ قادراً على اختزال استخدام الألوان ليرسم الكثير. قيل إنه متأثر بهنري ماتيس هو، الذي عرف عصر النهضة الأوروبي، والتيارات الغربية الحديثة، وعاش في باريس وتأثر بالفنون الإيطالية والإسبانية، لكنه بقي أميناً لنمط صاغه، فإذا بلوحته حين تراها تعرف دون كثير جهد أنها لأمين الباشا وليست لأي أحد آخر. وهذا غاية ما يتمناه فنان ينحت أسلوبه برفق إنما بتصميم.

ولد في منزل عريق أجواؤه تنضح بالإبداع، فتنارعت الفنون حيث رسم وكتب وأحب الموسيقى كشقيقه الموسيقي الشهير توفيق الباشا. لكن بقيت للرسم مكانة خاصة في قلبه. له فرشاة فياضة، ومن بيروت استوحى غالبية أعماله، من نوافذها وأبوابها ومبانيها. أحب الطبيعة وجلسات المقاهي، وجمال الناس، والزهر والوجوه، وأشياء المحيطة. فنان البساطة والبهجة واليوميات، وإعادة ابتكار العادي على طريقته. لم يرسم البؤس، ولم يستهوه الألم، لا في ألوانه ولا بمشهدياته. بقي الباشا طفلاً ينتزع وحيه من الحقول والطيور وأنية الزهر وطاولات اللقاء في المقاهي التي تجمع الأحبة، والغرف المغلقة في البيوت الدافئة، وجلسات الصفاء التأملية.

ولد أمين الباشا في بيروت، وتحديداً في حي «رأس النبع» عام 1932، عاش في بيت تمتزج فيه الفنون والأهواء، تعلم العزف على الكمان، وتردد طويلاً بين امتهان الموسيقى والانصراف إلى الرسم، هو الذي كانت الكتابة جزءاً من حياته ولم يتخل عنها أبداً. حين كان عليه أن يختار اختصاصه حسم الأمر لصالح التشكيل والتحق بـ«الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة»، ثم بمنحة أعطيت له ذهب إلى فرنسا وأكمل دراسته هناك، لتختمر تجربته الفنية وتفتتح رؤيته على تجارب لم يكن يعرفها. أقام في باريس وتنقل شغوفاً بالبحث عن طريقه، مانحاً نفسه لما يتناسب وخياراته وينسجم وميوله الذاتية.

هو ابن بيروت الخمسينات يوم كان تلميذاً، والستينات حين كانت تغلي مسرحاً وشعراً ونقاشاً، يوم كانت مختبراً عربياً لكل من تهوى نفسه الإفلات من قيد أو أسر. كان قريباً من يوسف الخال وجماعة مجلة شعر، صديقاً لمسرحيين وموسيقيين. ثم أصبح أستاذاً للفنانين المبتدئين وهو يعلم في معاهد الفنون في لبنان. نشر كتباً قصصية ونقدية مثل «أليس» و«المنتحر» و«شمس الليل» وله كتاب «بيروت أمين الباشا - مائيات ورسوم 1953 - 2009». وزينت رسومه عدداً من الدواوين الشعرية. كما كان يرفق كتاباته برسومه أحياناً. كتب للصحف، دبج مؤلفاته، اشتغل في التصوير، له منحوتات تشبه كثيراً في روحها رسومه نفسها. تنقل بين المائيات والزيتيات، رسم بالحبر والقلم الرصاص. عرض في بيروت منذ الخمسينات في غاليريها ومراكزها الثقافية، وفي كثير من عواصم العالم. قيل إنه «يرسم كأنه يكتب الأناشيد» أو يؤلف المقطوعات الموسيقية بانسجامها وتناغمها. لكن ما هو أكيد أن بعض لوحاته رغم بساطتها تظهر قدرته الفائقة على التكتيف والاشتغال الماهر على التفاصيل.

توفي أمين الباشا عن 87 عاماً، ملتحقاً بكوكبة من هذا الجيل يبدو أنها تستعجل المغادرة. القاطرة لا ترحم، الكاتبة مي منسى، ثم المسرحية سهام ناصر، ومن ثم السينمائي المخرج جورج نصر، وها هو التشكيلي أمين الباشا يتبع، على أمل أن تفرمل العجلات زحفها نحو المبدعين. 60 عاماً قضاهاً أمين الباشا في المحترفات وبين الألوان واللوحات. ما إن يغادر الرسم حتى ينصرف إلى الكتابة أو يستمع إلى الموسيقى. هكذا كان هذا البيروتي الأصيل، والعربي الذي بحث عن انتمائه الحقيقي حتى يوم كان مندهشاً بما يشاهد في أوروبا. لم يضع أمين الباشا البوصلة فيما يخص هويته أو رؤيته إلى صفاء جذوره، رغم أنه رسم الانطباعي والتجريدي والتكعيبي. كرم في كثير من المناسبات. وقد خصته الحركة الثقافية في انطلياس بتكريمها عام 2015 ثم أقيم له معرض استعادي جميل ضم ما يقارب 40 عملاً، من مراحل مختلفة من حياته المهنية، في «متحف سرسق» رافقه كتيب شامل عن حياته ومساره، وحملت المناسبة عنواناً دالاً وهو «تقسيمات وألوان: تحية إلى أمين الباشا». يرحل أمين الباشا، هذا التجريبي الذي لا يتعب، مع أن سيرته لا تشي بذلك على الإطلاق، لكنه كان مجدداً دون جنون، متمرداً من غير ضجيج، ومبتكراً من دون ادعاء.



من اعمال أمين الباشا

06/02/2019

جميع الحقوق محفوظة للشركة السعودية البريطانية للأبحاث ©
والتسويق وتخضع لشروط وإتفاق الإستخدام